

تتوزع في قلب المدينة... ومعظمها يعود الى العصر العثماني

## خانات دمشق القديمة أنجزت خدماتها التاريخية وباتت اليوم واحة للسياح ونماذج لفنون العمارة

دمشق - لينا العبد



الحريص، وتم بناؤه كما هو مثبت في الكتابة المنقوشة على الباب سنة ٩٨١هـ- ٥٧٣م، وهو يقع في الجانب الشرقي من سوق الحرير وإلى الجنوب الغربي من الجامع الأموي.

- خان سليمان باشا: يقع في سوق مدحت بركة ماء محاطة باروقة قائمة على عسائذ أقواس وطابقه العلوي مؤلف من رواق مسقوف بقباب صغيرة مزود بصف واحد من الغرف، أما الجهة الأخرى من السرواق فتظل على الباحة بقناطر مماثلة لقناطر الطابق الأرضي.

- خان التتن: والتتن كلمة تركية معناها التبع، ويبدو أنه خصص عند إنشائه لتجارة التبغ، يقع إلى جنوب الجامع الأموي وشرق خان الحرير، بابه مفتوح على سوق السلاح، وهو النموذج الذي سقّف صحنه بالقباب، حيث تغطي قسمة الرئيسية الذي يلي المهيكل ثلاث قباب كبيرة، ويمتاز بوجود جناحين صغيرين

■ هناك على أطراف الصحراء كانت دمشق تستلقي واحة من الجمال والخضرة والماء، وكانت أبوابها السبعة القديمة تفتتح على الجهات الأربع، فهدت بوابة القوافل التجارية وقوافل الحجاج ما اقتضى إقامة منازل للمسافرين ومنشآت للنشاط التجاري من أجل استيراد وتصدير وتصنيع المواد الأولية وأعمال البيع وتبادل السلع بمختلف أنواعها. كان النشاط يتركز، إضافة إلى الأسواق العامة، في منشآت خاصة تشيد خصيصاً للأغراض التجارية واستقبال القوافل والمسافرين من تجار وحجاج، بعضها أقيم داخل المدينة وبعضها الآخر عند أطرافها، وكان يطلق عليها أحياناً الفنادق وأحياناً القيساريات وتارة الخانات. وشيدت في العهد العثماني خانات كثيرة بسبب تزايد النشاط التجاري وانتظام قوافل الحج القادمة إلى دمشق من أنحاء العالم الإسلامي، ويبدو أن وظيفة الخان في ذلك العهد كانت تشمل النواحي المهنية والتجارية والسكنية، فبعضها كان يقوم مقام الفندق والسوق التجارية في آن واحد، فكان الطابق الأرضي مخصصاً لنزول القوافل إذ يتسع للضياف والخيول، أما الطابق العلوي فمزود بغرف صغيرة فيها النطاق الغرباء والمسافرون.

وتطورت هندسة الخانات في أواخر العهد العثماني فأصبحت أشبه بسوق مغلقة مبنية على طابقين واطلق عليها اسم وكالة، والخان في العادة مبني بالحجارة المنحوتة في واجهته وبوابته وجدرانها الداخلية، بينما استخدم الإجر لبناء القباب التي طليت بالكلس الأبيض، ويتخلل الواجهات والبوابات بعض الحليات المعمارية والأحجار الملونة.

وغالباً ما توضع واجهات مفتوحة على السوق العامة، ويجسد بالذكر أن هناك عدداً من الخانات غير معروفة يقع أكثرها على مقربة من خان أسعد باشا، إذ تحول بعضها إلى مخازن ومستودعات لبعض التجار، نذكر منها:

- خان الجوخية أو خان الخياطين، وهو جزء من سوق الخياطين بناه في بداية العهد العثماني وإلى دمشق أحمد شمسي باشا في العام ٩٦٠هـ كما هو مثبت في الكتابة المنقوشة على الباب، له واجهة حجرية مهيبة وباب فخم وهندسة لا تختلف عن التصميم العام للخانات.

- خان الحرير: عمره وإلى دمشق المشهور برويش باشا الذي حكم بين سنتي ٩٧٩ - ٩٨٢هـ (١٥٧١ - ١٥٧٤م) وعرف في البدء باسم قيسارية برويش باشا، ثم أطلق عليه اسم خان

## الجبل الأسود يخرج من أنقاض حرب البلقان ليقدّم لزواره طبيعة ساحرة ومتعة دائمة

الجبل الأسود - الحياة

سواحل رملية كانها مفروشة بحبات الذهب اللعاع، تحيط مجموعة من الجزر التي تسبح في المياه، وحولها تتصاعد قمم الجبال الشاهقة. على هذه السواحل تسقط أشعة الشمس الناعمة في مواسم الصيف الساحية، فيجد الزوار فرصتهم للانبطاح على رمالها والتمتع بهذه الأشعة واكتساب أجسامهم للون البرونزي.

في هذه المناطق تستطيع أن تستأجر غرفة مع عائلة، أو شقة مفروشة مستقلة، أو تختار أي درجة من الفنادق المختلفة، أما الأسعار فهي متفاوتة حسب نوعية السكن، ولكن بإمكانك أن تجد وبسهولة كبيرة جماعات مالوفة للغاية، تعودت على حركة السياح غير المنقطعة، بل وعقدت ثمة صداقات مع من يتردد على المنطقة سنوياً.

يحملون لك الجبنّة والزيت وأنواع الخضار والفواكه المتعددة من تلك الأشجار التي تنتشر أينما ذهبت، نساء ورجال منشغلون بالعمل، والكتم لا يألون جهداً في تقديم المساعدة لجحافل السياح القادمين من أصقاع الأرض البعيدة، وكانهم يعرفونهم عن قرب.

مناطق اعتبرتها اليونسكو جزءاً من ذخيرة البشرية، خصوصاً منطقة «أجرتة هوري» التي تعتبر من أرقى المناطق الأروبية نقاء لهداها العليل وطبيعتها الصحية ومياهها الراقدة. وإذا كنت حقاً تبحث عن المتعة والراحة، فليكن الذهاب في فصلي الربيع والصيف إلى «إداران أوخورفاشكو»، وجرب أن تتجسّد نحو نهر «زلوريجيسه»، أي «نهر الشر»، ولكل من تجد أي أثر هناك، وإنما ستلتقي بروعة لا تقابلها روعة لمثل هذه الطبيعة الخلابة، فيعدّ الجسر يبدأ الطريق الطويل، تمر خلاله بحيرة للسياحة، وتستطيع أن تتوقف عندها بعض الوقت أن تسبح بمياهها الصافية أو أن تستمتع في طريقك حتى توافيك منارة جامع البلدة الصغيرة الأولى التي تقع بعد الجسر.

ومن هنا تبدأ صفحة الجبال المغطاة بالغياب الخضرّة تملأ الأنظار من كل جانب، وتكاد هذه الجبال أن تتأطج الغيوم العالية، وإذا قارنت بين حجمك وحجم تلك الجبال الشاهقة التي تحيطك من كل جانب على مدى النظر، فستجد نفسك عبارة عن نقطة في المحيط.

كثيرون يعرفون «الجبل الأسود» كمناظرة سياحية جذابة، لكنهم حين يأتون إلى هذه المنطقة لا بد أن يتفاجأوا بعرف الجبال الطبيعي، فجزيرة «سيفيتي ستيفان» الجبلية التي لا تبعد كثيراً عن جزيرة «بودفا» تعتبر واحدة من أرقى المناطق السياحية في العالم، وكانت تضم قرية لصيادي الأسماك منذ القرن الخامس عشر، لكنها تطورت لتصبح منطقة سياحية من الطراز الأول، تضم جماعات عالمية لسلسلة من الفنادق الراقدة، وهي في الوقت الحاضر أهم منطقة تشهد زيارة الألاف من السياح سنوياً.

ربما يتفاجأ الزائر الذي يأتي إلى هذه البقعة من العالم، والتي تدعى بالجبل الأسود أو «مونتينيغرو»، بما منحها الله من جمال قد لا يتكرر في مكان آخر. فهي قطعة نادرة، وعبارة عن جزر تطوف بين الجبال وتحيطها المياه من جوانبها المختلفة، بينما تظل الغابات الكثيفة بعضاً من أطرافها.

في المنطقة الجبلية الخضراء، المطلة على البحر الأدياتيكي يعيش الناس وكانهم جزء من هذه الطبيعة، فهم يتنقلون بين جبالها وغاباتها بحبواتهم الأليفة على شكل جماعات مالوفة للغاية، تعودت على حركة السياح غير المنقطعة، بل وعقدت ثمة صداقات مع من يتردد على المنطقة سنوياً.

يحملون لك الجبنّة والزيت وأنواع الخضار والفواكه المتعددة من تلك الأشجار التي تنتشر أينما ذهبت، نساء ورجال منشغلون بالعمل، والكتم لا يألون جهداً في تقديم المساعدة لجحافل السياح القادمين من أصقاع الأرض البعيدة، وكانهم يعرفونهم عن قرب.

مناطق اعتبرتها اليونسكو جزءاً من ذخيرة البشرية، خصوصاً منطقة «أجرتة هوري» التي تعتبر من أرقى المناطق الأروبية نقاء لهداها العليل وطبيعتها الصحية ومياهها الراقدة. وإذا كنت حقاً تبحث عن المتعة والراحة، فليكن الذهاب في فصلي الربيع والصيف إلى «إداران أوخورفاشكو»، وجرب أن تتجسّد نحو نهر «زلوريجيسه»، أي «نهر الشر»، ولكل من تجد أي أثر هناك، وإنما ستلتقي بروعة لا تقابلها روعة لمثل هذه الطبيعة الخلابة، فيعدّ الجسر يبدأ الطريق الطويل، تمر خلاله بحيرة للسياحة، وتستطيع أن تتوقف عندها بعض الوقت أن تسبح بمياهها الصافية أو أن تستمتع في طريقك حتى توافيك منارة جامع البلدة الصغيرة الأولى التي تقع بعد الجسر.

ومن هنا تبدأ صفحة الجبال المغطاة بالغياب الخضرّة تملأ الأنظار من كل جانب، وتكاد هذه الجبال أن تتأطج الغيوم العالية، وإذا قارنت بين حجمك وحجم تلك الجبال الشاهقة التي تحيطك من كل جانب على مدى النظر، فستجد نفسك عبارة عن نقطة في المحيط.

كثيرون يعرفون «الجبل الأسود» كمناظرة سياحية جذابة، لكنهم حين يأتون إلى هذه المنطقة لا بد أن يتفاجأوا بعرف الجبال الطبيعي، فجزيرة «سيفيتي ستيفان» الجبلية التي لا تبعد كثيراً عن جزيرة «بودفا» تعتبر واحدة من أرقى المناطق السياحية في العالم، وكانت تضم قرية لصيادي الأسماك منذ القرن الخامس عشر، لكنها تطورت لتصبح منطقة سياحية من الطراز الأول، تضم جماعات عالمية لسلسلة من الفنادق الراقدة، وهي في الوقت الحاضر أهم منطقة تشهد زيارة الألاف من السياح سنوياً.

عدد من الدكاكين والمخازن التجارية. لبوابية الخان واجهة حجرية فخمة تتألف من إيوان واسع يتقدم الباب على جانبه، والباب مفتوح ضمن قنطرة ذات قوس أقل من نصف دائرة، تعلوها واجهة مؤلفة من خطوط هندسية مقولية جيدة النحت تحتوي على نص التأسيس. ويطلق الناب بمصارعين من الخشب المصحف بالحديد والمسامير الكبيرة، يفتح في أحدهما باب صغير (خوخة)، وبلي الباب آخر مماثل من دون مصارعين، يؤدي إلى هليز طويله عشرة أمتار وعرضه أربعة، على كل من جانب منه درج من الحجر للصعود إلى الطابق العلوي، وينتهي المدخل بقنطرة واسعة مفتوحة على صحن الخان.

يؤلف صحن الخان باحة مربعة طول ضلعها ٢٧ متراً، مبلطة بالحجر الأسود تتوسطها بركة ماء كثيرة الأضلاع في وسطها فسقية، والصحن مغطى بسقف يتألف من تسع قباب كبيرة موزعة على ثلاثة صفوف، وهذه القباب متساوية من حيث الحجم والسعة والارتفاع، قطر كل منها ٨ أمتار، وترتفع ذروتها عن أرض الخان ٢٢ متراً. ويحيط بالصحن من كل جهاته غرف ومخازن موزعة على طابقين، الأرضي له واجهة حجرية فتحت فيها أبواب المخازن وشبابيكها، والمخازن مصممة على شكل أجنحة مستقلة يتألف كل منها من غرفة أمامية تستخدم كمكتب، ويلها في الداخل غرفة أو غرفتان لهما طاقات في الأعلى مفتوحة في جدار السور.

ولا يتسبه هذا التخطيط ما كانت عليه الخانات في العهود السابقة إطلاقاً، بل هو أشبه بتصميم القصور الأموية.

ويمتاز خان أسعد باشا بسعته وهندسته الدقيقة، فلقد بني بإتقان وعناية، ونرى فنون العمارة العربية الإسلامية متمثلة في هندسته وفي عناصره المعمارية ولكنها منقطرة، مطبوعة بطابع العهد العثماني، ماثرة به. وأهم ما يلفت الأنظار في هذا المبنى حجارته البلقاء المؤلفة من اللونين الأبيض والأسود المستعملين بالتناوب في الجدران وفي فقرات العقود والأقواس، في سائر أنحاء الخان، ظاهره وباطنه.

ومما يزيد في جمال الخان أيضاً قبابه التسع التي تعلو صحنه وبركة الماء التي تضيء البهجة والراحة إلى جو الخان، ومما يفسر شهور المرم بالإنجاح والدفء وهو يتأمل أسماؤه ويتجول في أنحاءه، دقة اختيار المصممة في أطوال أروقته ودهاليزه وفي ارتفاع واجهاته وسعة قنطاره، ثم الانسجام في تزوج الضوء والظل في جوانبه، ويعبر الناحية والحد من روائع العمارة العربية الإسلامية والمكان الذي تبعث منه رائحة التاريخ وجاذبية الشرق.

## المستشرق كوروشي بدأ رحلته الشرقية بحثاً عن أصل المجرين لكنه استقر في التبت... ليصبح أول دارس للغتها ودينها

بودابست - الحياة



■ ولد في قرية كوروش الواقعة في إمارة أردني (ترانسلفانيا) سنة ١٧٨٤، وإليها ينسب. اشتهر في المصادر الغربية باسم كوروشي (أي الكوروشي)، وهذه المنطقة يقطنها السيكيون، وهم مجريون قدموا إلى حوض الكاربات قبل قدوم القبائل المجرية في أواخر القرن التاسع الميلادي، وكانوا قومًا محاربين لذا عهدت إليهم حماية الحدود والغفور، درس كوروشي في مدرسة بروستانتية وسرعان ما برز بتفوقه وكذلك ببساطة معيشته وزهده، ثم انتقل للدراسة في جامعة غوتنغن، وهي واحدة من أشهر الجامعات الألمانية في مجال الدراسات الشرقية حيث درس العلوم واللغات والألموت. ويقال أنه كان يجيد ١٤ لغة وقت انطلاقه في رحلته الوحيدة إلى الشرق.

كان يود الذهاب إلى الشرق بحثاً عن الشعوب التي تمت بصلة قرابة للمجريين، بيد أن توجهه هناك لم يتكلم بالعمور على الوطن الأصلي لهم، بل على حضارة عريقة لم يعرف عنها الغرب شيئاً من قبل، وهذا الهدف كان وراء تعلمه اللغة العربية، فقد عرف في غوتنغن أن الجغرافيين والرحالة العرب كانوا أول من تحدث عن المجرين والشعوب القريبة لهم، وتعرف اليوم أن الجيهاني وابن رستا والغريزي والبليخي وابن فضلان والمسعودي تناولوا في أعمالهم أخيراً عن هذا الشعب المرحل في أواسط آسيا والذي استقر أخيراً في وسط أوروبا في حدود ٨٩٠ ميلادية.

انطلق كوروشي في رحلته إلى الشرق في شتاء ١٨١٩ وفي جيبه القليل من المال، وتوجه إلى البلقان أول الأمر حيث مر ببلغاريا، ومن هناك سافر إلى الإسكندرية حتى يتقن اللغة العربية، لكن نقشي الطاعون أجبره على تغيير وجهته إلى بيروت ثم الساحل السوري حتى وصل حلب وأقام فيها شهراً للإستزادة من اللغة العربية، ومنها ذهب إلى الموصل ثم إلى بغداد فوق الأكلال المنسابة مع جريان نهر دجلة.

أقام في بغداد ستة أسابيع، ذهب بعدها إلى طهران هذه المرة، ونزل ضيفاً على السفير البريطاني هناك حيث أمضى أربعة أشهر لسقل لغته الفارسية، بعد إيراد أنقل شرقاً إلى مشهد وبخاري أصلاً في الوصول إلى سهول آسيا الوسطى بحثاً عن الأويغورين الذين اعتبرهم أقارب المجرين، لكن تقدم الجيوش القيصرية الروسية حال دون ذلك، فظل بعد اجتيازه جبال هندكوش إلى أفغانستان إذ عبر باميان وكابل إلى الهند حتى وصل لاهور، واستمر في السير إلى الشمال متوجهاً إلى سرينغار في كشمير، أملاً في الوصول إلى بارقند شمال الصين حيث خال وجود الشعوب القريبة للمجريين، لكنه عدل عن الاستمرار في طريقه بعد أن رأى الصعوبات الخاصة أمامه، والمتعلقة في عبور مضائق أرة وتسلق قمم يزيد ارتفاعها على خمسة آلاف متر، قطع كوروشي كل هذا الطريق البالغ نحو ١٢ ألف كيلومتر سيراً إلى الأقدام عادة أو مع القوافل بملايس عربية تارة، لكن في غالب الأحيان بملايس محلية.

وخلال تجواله في كشمير التقى كوروشي

على معلومات تتعلق بالمجريين وأصلهم، لكنه أصيب بالملاريا وتوفي قبل بلوغ هدفه، ودفن في منطقة دارجيلنج الشهيرة بشابها الأخير الذي تنتج، ولا يزال قبره مزاراً يؤمه المستشرقون والرحالة والمهتمون بالدراسات التجنبة التي يعتبر كوروشي مؤسسها.

لم يطمع العالم الغربي على لغة وأدب التبت قبل كوروشي، فهو كان السباق إلى تعلم لغتهم ودراسة خصوصهم، فوضع أول قاموس للغة التبتية باكثر من ٤٠ ألف مفردة، صدر في كلكتا في العام ١٨٣٤، في هذا القاموس اعتبر كوروشي الإشارة إلى أصله أمراً مهماً، فكتب في عنوانه مفخضراً، لكن يتواضع جح، «محاولة لوضع قاموس تبتى - إنكليزي، كتبه الكسندر تشومو دي كوروش، سيكولو - هنغاري من ترانسلفانيا»، أي من السيكيون المجرين في أردني (ترانسلفانيا)، هذه «المحاولة» أصبحت القاموس التبتى المعتمد منذ ذلك التاريخ، وصدر له في العام نفسه كتاب عن قواعد اللغة التبتية، والكتابان طبعوا بحسنة نسخة فقط. ومن أهم أعماله الأخرى كتب ورسائل عن حيا وتعاليم بوذا، ومجموعة من رسائله وتلخيصاته، وأشتهرت كذلك الرسائل التي كتبها له الأبحار البوذيون لتفسير كتبه وجوهر الديانة البوذية.

قال عنه ويليام هنتر العالم الإنكليزي المتخصص في الشؤون الهندية: «ما أنجزه تشومو بغيره هو أكثر مما أنجزته جيوش أوجترولوني Ochertony، فساق ما توصلت إليه ديبلوماسياً هودجسونHodgson للتوغل في الهمالايا، كان تشفقه مثيراً للتعجب، فقد إنقذه الرويات الخمسين التي خصصتها له الجمعية الآسيوية البنغالية كترتب شهري في الكهنة البوذيون الذين كان يتعلم منهم أثناء إقامته في التبت، وكان يعيد المبالغ التي يرسلها المتحمسون لدعم أبحاثه في المجر ولا يستلمها، منصرفاً إلى أبحاثه ودراساته، ولم يقل مكافآت الحكومتين الهندية والمجرية بعد تأليفه الكتابين.

## نولج فيو Knowledge View

خدمات تقنية واستشارية شاملة للصحة العربية

خدمات استشارية متقدمة حول سبل تحديث وتحسين نوعية التحرير والنشر ونقلص تكاليفهما، وأخر التقنيات في مجال الطباعة.

أنظمة إدارة أخبار وتحرير إلكتروني شامل، ونشر متعدد الوسائط، مصممة لزيادة الكفاءة وتحقيق موارد جديدة.

## مستفيدين من تجربة استخدام هذه الأنظمة في صحف «الحياة» و«الإتحاد» الإماراتية و«النهار» اللبنانية و«الأهرام» المصرية، وال«غارديان» وال«إنديبننت» البريطانيتين وال«واشنطن بوست» الاميركية.

■ وجدت رايه براروز النظام الوحيد الذي يستقبل الأخبار ليس من وكالات الأنباء فحسب وإنما من مصادر معلومات عالمية واسعة ومن مراسلينا. ليربها بنظام تحريري متكامل!

**روبير جريديني**  
المدير العام لشركة الحياة الدولية للنشر

For further information visit [www.knowledgeview.co.uk](http://www.knowledgeview.co.uk) or contact:

<p><b>London Headquarters</b> KnowledgeView Ltd The Sanctuary 25 Oak Grove, Barking Tel: +44 (0)20 8399 9734 Fax: +44 (0)20 8399 9353 A/ Al-Aasam al.aasam@knowledgeview.co.uk</p>	<p><b>Kingdom of Saudi Arabia</b> KnowledgeView SA P.O. Box 69428 Riyadh 11547 Tel: +966-1-4625180 Fax: +966-1-4627004 Olayad Al-Duqa olayad@knowledgeview.co.uk</p>	<p><b>United Arab Emirates</b> KnowledgeView UAE Office 310, 3rd Floor, Building No. 1 Dubai Internet City Sheikh Zayed Road, PO Box 506621 Dubai, UAE Tel: +971(0)4 391 1920 Fax: +971(0)4 391 1930 Azmar Al-Aasam azmar@knowledgeview.co.uk</p>
--	--	---

**KnowledgeView Ltd**

[www.knowledgeview.co.uk](http://www.knowledgeview.co.uk)